ويبقى الوداع
أصعب ما في الحياة

د. صغير بن محمد الصغير

ويبقى الوداع أصعب ما في الحياة

صغيّر بن محمد الصغيّر

بسم الله الرحمن الرحيم

هناك مواقف لا تُحسن البلاغة وصفها، ولا تسعفها فصاحة الأقلام، لأن اللغة تقف عند أبواب المشاعر، ويبدأ حديث القلوب.

وقد أمرنا بحفظ الفضل لأهله، وردِّ الجميل إلى أصحابه، إذ قال النبي ﷺ: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**».[1] وإن من الوفاء أن يُذكر أهل الإحسان بإحسانهم، وأن يُثنى عليهم بما عُرف عنهم من خير، فإن الكلمة الصادقة تبقى أثرًا حسنًا كما يبقى العمل الصالح.

اليوم دخل علي زميلنا العزيز، الباحث المتميز **الدكتور ناصر عمر عبد السلام**، بعد أن انتهت رحلته مع الجامعة، رحلة امتدت أكثر من عشرين عامًا من العمل والعطاء. دخل ليودع المكان وزملاءه، لكننا كنا نحن من شعر أن شيئًا من أعمارنا يغادر معنا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٩٣٩)، وصححه الألباني.

وقفنا نتبادل النظرات، وأردنا أن نقول شيئاً، غير أن حشرجة الصدر سبقت الكلمات، وغلب التأثر على العبارات، فكان الصمت أبلغ من كل خطاب، وكانت المصافحة الممزوجة مع الدموع بالوفاء أصدق من كل ثناء.

ولقد كان رسول الله ﷺ يعرف لأهل الفضل فضلهم، ويشكر لأهل الإحسان إحسانهم، وكان من هديه الدعاء لمن أسدى معروفًا، وقال ﷺ: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**».[1]

لقد عشنا مع الدكتور ناصر سنوات طويلة، فلم نعرف منه إلا حسن الخلق، وطيب المعشر، وصدق الزمالة، وإتقان العمل، والوفاء للمسؤولية. كان مثال الباحث الجاد، والزميل

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، والإمام أحمد (٦١٧٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وصححه الإمام النووي وغيره، وهو مخرج في "السلسلة الصحيحة" للألباني (٢٥٤).

الصادق، والإنسان الذي يترك أثره في النفوس قبل أن يترك أثره في الأوراق والبحوث.

وعلى مدى هذه السنوات، قدّم للجامعة خلاصة علمه وخبرته، وأسهم في رسالتها بإخلاص وأمانة، وكان وفيًّا للمملكة العربية السعودية التي عمل على أرضها، فأخلص في أداء واجبه، واحترم أنظمتها، وأسهم في خدمة مؤسساتها وطلابها، فاستحق كل تقدير وثناء.

وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[1]، وكان الإخلاص والإتقان سبيل الموفقين، وما من عملٍ يُبتغى به وجه الله إلا أبقى الله أثره، وأجرى ذكره الحسن بين عباده.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٣)، وقد حسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١١١٣).

إن المؤسسات العريقة لا يبنيها الحجر، وإنما يبنيها الرجال المخلصون، وأمثال الدكتور ناصر هم الذين يتركون بصماتهم في ذاكرة المكان، فإذا رحلوا بقيت آثارهم، وبقيت سيرتهم الحسنة تتردد على ألسنة من عرفوهم.

وإن من تمام الوفاء أن تُحفظ المواقف، وأن تُذكر الأيادي البيضاء، فإن الناس يرحلون عن مواقعهم، ولكن آثارهم الصالحة لا ترحل من القلوب.

أيها الزميل العزيز، نشكرك على أعوامٍ حفلت بالبذل والإحسان، ونشهد أنك كنت نعم الزميل، ونعم الباحث، ونعم الأخ. نسأل الله أن يجزيك خير الجزاء، وأن يبارك لك فيما بقي من عمرك، وأن يفتح لك أبواب التوفيق حيثما اتجهت، وأن يجعل ما قدمته من علم وعمل في ميزان حسناتك.

أما الوداع... فلن يكون نهاية المودة، فالعلاقة التي صنعتها سنوات الإخلاص لا تقطعها المسافات، وستبقى لك في قلوبنا مكانة، وفي دعائنا نصيب، وفي ذاكرتنا أجمل الذكريات.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[1]، ولعل من أعظم نعم الله أن يرزق الإنسان صحبةً صالحة، وزمالةً كريمة، تبقى مودتها وإن تفرقت بها الدروب.

حفظك الله، وأحسن إليك، وبارك لك في مستقبلك وجمعنا بك على خير.

أخوك: صغيّر بن محمد الصغيّر

١٤٤٨/١/١٦هـ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨).